Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكنهم لا يجدونه فى كلامهم واقعا، وإذا هم حاولوا الوصول إليه تبين لهم قصر باعهم عن أن يمتد إليه ليتمكن منه .

حتى إذا جاء القرآن الكريم فوجئوا باشتماله على ذلك الأساس — بالإضافة إلى تسنمه القمة فى الأساسيين الأولين — فلم يجدوا بدا من الخضوع أمامه ، والاستسلام لروعته ومن ثم أصبح قصارى جهد كل عربى ومسلم أن يتعرف على شىء مما فى التعبير القرآنى ويبنى عليه أدبه ، ويروض عليه لسانه .

٢ — والظاهرة الثانية هى أن المسلمين انجهوا بكل ما أوتوا من ثقافة ومعرفة يبحثون عن نواحى الإعجاز البيانى القرآنى ، ويكشفون عن مظاهرها ، ويربطون بين ذلك وبين الآداب — خصوصا الأدب العربى — فكان ذلك الاتجاه ميدانا لقدح زناد الفكر الخصيب ، واستثمار ما أوتوا من أدوات وأسباب فى ذلك الميدان ، وحرص على أن يتزودوا بكل ما يمكن حتى يكشفوا عن شىء من هذه النواحى البلاغية المعجزة فى النص القرآنى .. مما خلف لديهم فنا جديدا فى مقنناته وفى اتجاهاته .. ذلك هو فن القول ، ولم يكن من قبل علما مؤصلا ولا فنا يعتمد على المنهج المدروس والقوانين المعدة . وهذا من غير شك له فى التحول الأدبى أثره البعيد . ولقد أشار البطليوسى إلى هاتين الظاهرتين فى قوله :

إن العرب طلبوا الأدب واعتنوا بمدارسته وترويض أنفسهم عليه لغرضين: أحدهما يقال له الغرض الأدنى . والثانى الغرض الأعلى ؛ فالغرض الأدنى : أن يحصل للمتأدب بالنظر فى الأدب والشعر قوة فيه يقدر بها على النظم والنثر . والغرض الأعلى : أن يحصل للمتأدب قوة على فهم كتاب الله تعالى . وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، ويعلم منها الأحكام وتفرع الفروع . وتنتج النتائج، وتقرن القرائن على ماتقتضيه مبانى كلام العرب ومجاراتها لما يفعل أصحاب الأصول(١) .

وهكذا أصبح القرآن الكريم منذ بدء الحياة الإسلامية رائد كل أديب، ومنار كل قائل ، ومنهل كل متعلم ، وميدان كل دارس — هذا إلى كونه وحى السماء المشتمل على كل أسس التشريع، والمحتوى على كل قوانين السلوك — فكان ملء عيون العرب

---

(١) البطليوسى فى (الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب) لابن قتيبة ص ١٤ ط بيروت سنة ١٩٠١ .